العرب
الثلاثاء 2021/11/09
السنة 44 العدد 12235

التنافس الدموي بين تركيا وروسيا من الشرق الأوسط إلى جنوب القوقاز

ثلاثة زائد ثلاثة صيغة تنقل الحرب بالوكالة نحو ساحة اقتتال جديدة

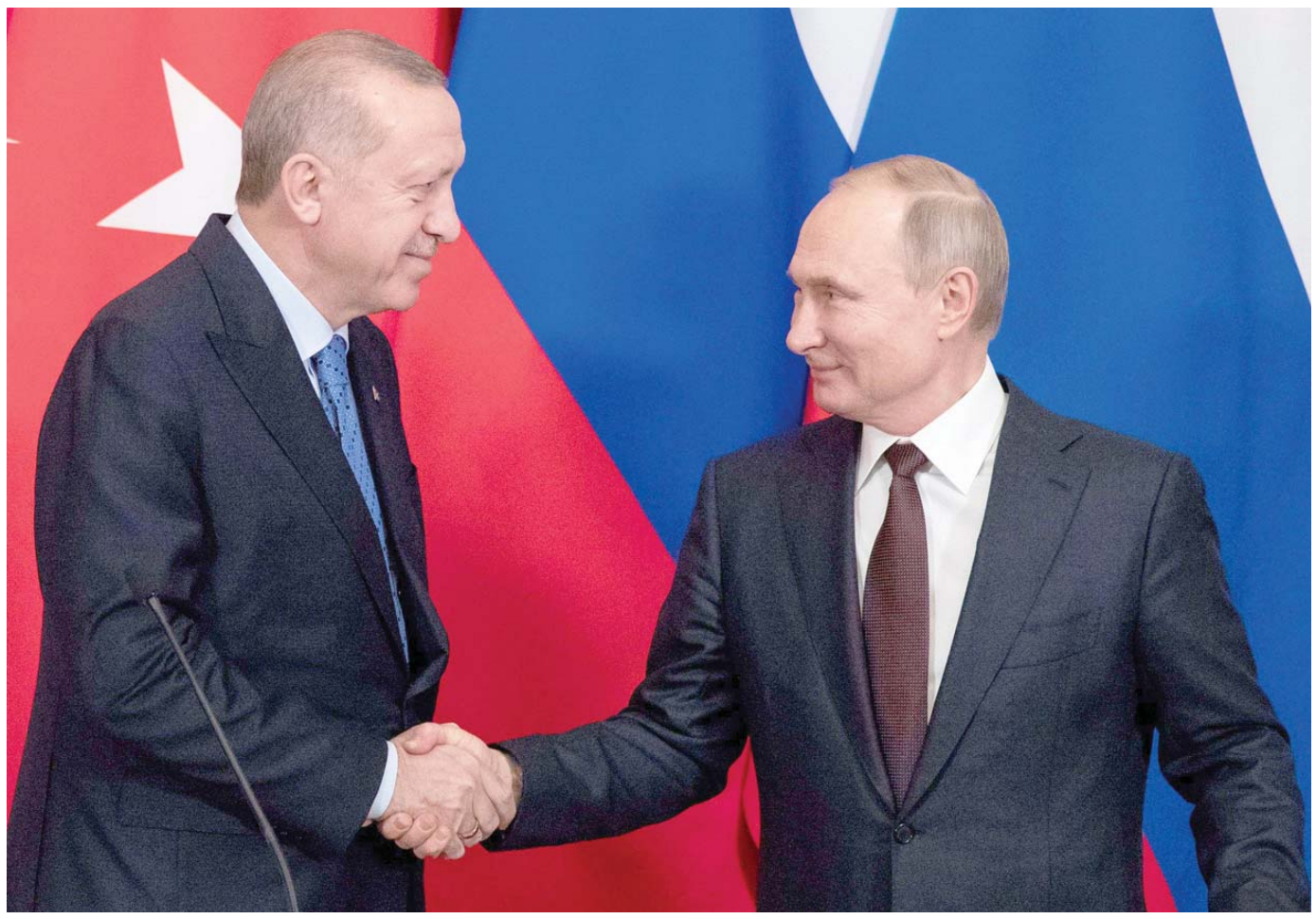

اتفقنا أو اختلفنا سنشعل الحروب

تأمل تركيا وروسيا في تمديد علاقتهما الخارجية الدموية والتشاركية أيضا من الشرق الأوسط إلى منطقة القوقاز، باعتماد مقترح ثلاثة زائد ثلاثة الذي سيجمع أرمينيا وأذربيجان وجورجيا في مقابل روسيا وتركيا وإيران، والذي ينذر في حال اعتماده بتحويل بلدان جنوب القوقاز الثلاثة إلى حلقة جديدة من سلسلة القتال بالوكالة بين موسكو وأنقرة، مع دور مهمّش لطهران وتراجع كبير لنفوذ كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ومجموعة مينسك التي تعدّ الوسيط التاريخي في النزاع بين أرمينيا وأذربيجان.

نيل هاور
محلل أمني مقيم في جورجيا

عندما اقترحت تركيا لأول مرة صيغة "ثلاثة + ثلاثة" لدول جنوب القوقاز الثلاث (وهي أرمينيا وجورجيا وأذربيجان، بالإضافة إلى روسيا وتركيا وإيران) في شهر ديسمبر الماضي لم يُثر ذلك المقترح أي نقاش يذكر؛ فمنذ الانهيار السوفييتي قبل ثلاثين عامًا كانت المنطقة إلى حد كبير تحت الوصاية الروسية، مع فرص قليلة أمام الجهات الفاعلة الأخرى للعب دور مؤثر.

لكن دبت الحياة فجأة في المقترح الجديد في الشهرين الماضيين، وبدأت كل من روسيا وإيران تدعمه بشكل علني، مع مشاطرة طهران على وجه الخصوص رأيَ أنقرة المتمثل في أن هذا المقترح عصا تحكّم للتأثير الرسمي على المنطقة لأول مرة في التاريخ الحديث. ولكن بالنسبة إلى روسيا وتركيا يأمل البلدان الآن في تمديد علاقتهما الخارجية الدموية (والتعاونية أيضا) من الشرق الأوسط إلى القوقاز، وهو تطور من المحتمل أن تكون له عواقب وخيمة على المنطقة برمتها.

كانت نقطة البداية الأكثر وضوحًا للتأثير الخارجي الجاد على جنوب القوقاز هي الدعم العسكري التركي لأذربيجان في حرب ناغورني قره باغ التي استمرت أربعة وأربعين يومًا في العام الماضي. ولعبت طائرات بيرقدار التركية التي تُقاد دون طيار (والتي قادها على الأرجح جنود أتراك)، فضلاً عن الدعم والتخطيط التشغيلي، دورًا حاسمًا في إحراز نصر ساحق لحليف تركيا المقرب، أذربيجان. وبعد انتهاء الحرب تم استبعاد أنقرة إلى حد كبير من أي دور مستقبلي واضح، وتولت قوات حفظ السلام الروسية السيطرة على ما تبقى من مرتفعات ناغورني قره باغ التي يسيطر عليها الأرمن على الأرض، وبنجاح المحاولات التركية رفضت موسكو الانخراط في المفاوضات وفي عملية إيجاد تسوية للقضية، مما أدى إلى إنشاء مركز روسي – تركي رسمي مشترك لمراقبة وقف إطلاق النار بعيدًا عن الخطوط الأمامية الجديدة التي تسيطر عليها روسيا.

وقد يبدو من المفاجئ إذن أن الكرملين قد وافق على رغبة أنقرة في تقديمه الدعم لإطار عمل جديد من شأنه أن يمنح تركيا مقعدًا على الطاولة، ولكن بالنظر في البدائل تصبح دوافع موسكو أكثر وضوحًا، حيث يظل الشكل التفاوضي الرئيسي لتسوية قضية قره باغ هو مجموعة مينسك التابعة لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، التي تأسست في أوائل التسعينات من القرن الماضي وتتألف من الولايات المتحدة وفرنسا جنبًا إلى جنب مع موسكو كرؤساء مشاركين، ويمكن القول إن واشنطن وباريس هما الخصمان الأساسيان لروسيا على الساحة الدولية، خاصة بالنظر إلى المنافسة الأمنية المتزايدة بشدة بين روسيا وفرنسا في أفريقيا في السنوات الأخيرة.

وأثناء ذلك تبقى تركيا شريكًا يمكن للكرملين العمل معه و"عدوا" أبديا تتدلع معه اشتباكات سياسية وحتى عسكرية متكررة، ولكن يمكن من خلال التفاهمات مراعاة مصالح الطرفين. ويشهد على هذا النوع من العلاقات النفعية نصف العقد الماضي في سوريا وليبيا، حيث دعمت تركيا وروسيا طرفين متعارضين، وتواصلان التحريض ضد بعضهما البعض، ولكنهما تمكنتا رغم ذلك من الوصول بانتظام إلى حلول وسطية مقبولة.

وعلى هذا الأساس ستكون تركيا الرابح الأخير، والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي الخاسرين الدوليين الرئيسيين لأي اعتماد أو قبول لتنسيق "3 + 3"، ومن شأن إطار العمل الجديد هذا قطع الطريق على القوى الغربية بالكامل، وهو سبب رفض جورجيا له بشدة حتى الآن، بسبب صلاتها الغربية الوثيقة.

وتكافح الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بالفعل لاستعادة نفوذهما على أرمينيا وأذربيجان بعد حرب العام الماضي، وسيجدان نفسيهما إلى حد كبير في الهامش ينظران إلى واقع الأحداث حيث تتراجع مجموعة مينسك والآليات ذات الصلة إلى الواقع الجديد. فلا عجب إذن أن تعارض كل من واشنطن وبروكسل الشكل الجديد بشدة، بينما رفضته أرمينيا أيضا، التي تكره التخلي عن مجموعة مينسك وإعطاء تركيا ثقلا إضافيًا.

ومع ذلك من المرجح استمرار تهميش العنصر الثالث في الصيغة المقترحة، وهو إيران. ففي حين أن طهران هي الفاعل الأكثر نفوذا من بين الدول الثلاث في الشرق الأوسط، حيث تلعب دورًا كبيرًا في العراق واليمن وسوريا ولبنان، فإن الطرق التي تمارس بها هذا التأثير لا تنطبق ببساطة على جنوب القوقاز، حيث يزدهر الدور الإيراني بالعمل في بيئة تكون فيها الدولة إما ضعيفة أو شبه معدومة، مما يسمح للميليشيات المدعومة من الحرس الثوري الإسلامي بالسيطرة على الأرض.

> **الخاسرون هم دول جنوب القوقاز بتحويلها إلى ساحة لألعاب القوة الروسية – التركية التي رسمت ملامح الشرق الأوسط**

وتعد منطقة جنوب القوقاز ساحة مختلفة تمامًا، حيث توجد حكومات تعمل بكامل وظائفها في جميع البلدان الثلاثة ولا توجد قدرة واضحة للجهات الفاعلة غير الحكومية من النوع الذي تفضله طهران لتحقيق أي مكاسب، وقد تم تجاهل إيران إلى حد كبير من قبل دول المنطقة، وهو أمر تشهد به المناورات الحربية الضخمة الأخيرة على حدود أذربيجان فقط لجذب انتباه باكو، وستمنح صيغة "ثلاثة زائد ثلاثة" طهران بعض النفوذ القانوني، لكنها بالتأكيد ستكون البلد الثالث بعد روسيا وتركيا.

وبالطبع الخاسرون الأساسيون هم دول جنوب القوقاز نفسها، من خلال تحويلها إلى ساحة لألعاب القوة الروسية – التركية التي رسمت ملامح الشرق الأوسط، حيث ستصبح أرمينيا وأذربيجان وجورجيا الحلقة الأخيرة في سلسلة ساحات القتال بالوكالة بين موسكو وأنقرة. ويحتاج المرء فقط إلى النظر في كيفية حدوث هذه الديناميكية في سوريا وليبيا ليرى مدى تأثيرها التدميري، حيث تمارس روسيا وتركيا نفوذهما على البيئة المحلية من خلال الحملات العسكرية المدمرة التي تنطوي على غارات جوية عشوائية وتمكين التوابع المحليين العنيفين، فضلاً عن إحداث دوامة من المنافسة من خلال التدمير العنيف. وإذا أضيفت إيران إلى المشهد، بسياساتها المتمثلة في دعم الميليشيات الوحشية لفرض إرادتها بشكل دموي في الدول المدمرة في جميع أنحاء الشرق الأوسط، فستصبح الصورة أكثر كارثية على شعب القوقاز.

لقد مرت منطقة القوقاز بعدة حروب على مدى تاريخها، وتحويل المنطقة إلى ساحة حرب أخرى بالوكالة بين روسيا وتركيا سيعني المزيد والمزيد من الحروب.

> **تحويل منطقة القوقاز إلى ساحة حرب أخرى بالوكالة بين روسيا وتركيا سيعني المزيد والمزيد من الحروب**

تدريبات الصين العسكرية تضاعف حدة التوتر مع واشنطن

بكين – وسط تصاعد التوتر مع الولايات المتحدة وتزايد التحذيرات من حرب باردة قد تشتعل في أي لحظة بين البلدين، أقدمت الصين على بناء نموذج بالكامل عن أسطول أميركي مكوّن من حاملة طائرات وسفينتين حربيتين أميركيتين في صحراء البلاد الشمالية الغربية، قال محللون إنه مخصص للتدرب على مواجهته واستهدافه بالصواريخ.

وأصدر معهد البحرية الأميركية صور أقمار صناعية لنماذج بالحجم الكامل لحاملة الطائرات "جيرالد آر فورد" ومدمرة "آرلي بورك" مصطفة في صحراء تاكلاماكان وسط الصين.

وقال المعهد المستقل عن الجيش الأميركي والذي يتخذ من ولاية ميريلاند مقرا له، الأحد إن صور الأقمار الصناعية التي حصل عليها كشفت أن النماذج المقلدة قد تم وضعها في "صحراء تاكلاماكان" بإقليم شينجيانج.

ويقع الموقع الذي ظهر فيه الأسطول الأميركي بجوار موقع الاختبار حيث اختبر جيش التحرير الشعبي الإصدارات المبكرة من الصواريخ الباليستية المضادة للسفن.

وتظهر الصور أن الصين تواصل التركيز على مقاتلة حاملات الطائرات والسفن الهجومية. علاوة على ذلك، على عكس "حاملة الطائرات الأميركية" الأخرى التي بنتها البحرية الإيرانية في الخليج، فإن النموذج الصيني مجهز جيدا بمعدات قياس.

وأوضح المعهد البحري أن حاملة الطائرات الوهمية لها نفس حجم الحاملة الأصلية، مما يعني أنها يجب أن تبدو مشابهة لصورة هدف الرادار.

ويشار إلى أن هذه ليست المرة الأولى التي يتم فيها رصد مثل هذه النماذج في صحراء الصين، ولكن يقال إن هذه النماذج المقلدة أكثر دقة وتفصيلا. وفي عام 2003 بنى الجيش الصيني سطحا خرسانيا بحجم سطح سفينة من طراز نيميتز ومارس ضربات صاروخية مرارا ضدها، لكن الأهداف الجديدة تشبه إلى حد كبير السفن التي تصورها.

وعززت الحكومة الصينية قوتها العسكرية في السنوات الأخيرة من خلال زيادة الإنفاق وتطوير أنظمة أسلحة متطورة وإنشاء قواعد عسكرية.

وفي تقرير نشر الأسبوع الماضي، قالت وزارة الدفاع الأميركية إن بكين تعمل على تحديث جيشها "لمواجهة الولايات المتحدة" في منطقة المحيطين الهندي والهادئ وتسهيل إعادة تايوان التي تعتبرها إحدى مقاطعاتها إلى سيادتها.

وقال البنتاغون إن الصين تطور ترسانتها النووية بوتيرة أسرع بكثير ويمكنها بالفعل إطلاق صواريخ بالستية مسلحة برؤوس حربية نووية من البر والبحر والجو. وتتوقع وزارة الدفاع الأميركية زيادة مخزون الصين من الرؤوس الحربية إلى أكثر من الضعف بحلول عام 2030.

وأضاف البنتاغون هذا العام إلى تقريره السنوي فصلا عن البحوث الصينية في المجال الكيميائي والبيولوجي يعتبرها مثيرة للقلق.

وجاء في التقرير أن "الصين شاركت في نشاطات بيولوجية قابلة للتطبيق" في المجال العسكري، و"بناء على المعلومات المتاحة، لا يمكن للولايات المتحدة أن تضمن امتثال الصين للاتفاق الدولي بشأن الأسلحة الكيميائية".

وأوضح المسؤول الكبير في البنتاغون للصحافة أن هذه النشاطات ليست مرتبطة بأي شكل من الأشكال بمصدر كوفيد – 19 الذي تنسبه بعض النظريات إلى تسرب من مختبر في مدينة ووهان الصينية حيث اكتشف الوباء.

وردا على التقرير اتهم المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية وانغ وبلين واشنطن بمحاولة التركيز على فرضية التهديد الصيني، متهما واشنطن بالـ"تلاعب".

وزاد التوتر والتنافس بين البلدين في الآونة الأخيرة، حيث تواجهت بكين وواشنطن بشأن غالبية المسائل، من الأزمة الوبائية مرورا بالتجارة وصولا إلى ملف حقوق الإنسان الذي تتهم فيه الولايات المتحدة الصين بارتكاب جرائم بحق مسلمي الإيغور وبحرمان هونغ كونغ من حكمها الذاتي وديمقراطيتها.

> **بكين تجري تدريبات لقصف أسطول أميركي مكون من حاملة طائرات وسفينتين حربيتين أنشأته في صحرائها الشمالية الغربية**

وهناك توترات متزايدة بين الولايات المتحدة والصين بشأن تايوان، التي تعتبرها بكين إقليما انفصاليا، بالإضافة إلى الحشود العسكرية للصين والمطالبات الإقليمية واسعة النطاق في بحر الصين الجنوبي.

وقد تضاعفت التصريحات المتبادلة في الأسابيع الأخيرة بين الصين والولايات المتحدة بشأن مصير تايوان التي تحكمها حكومة ديمقراطية وتعتبرها بكين مقاطعة صينية وتقول إنها عازمة على إعادة ضمها، وبالقوة إذا لزم الأمر. كما انخرط الجيش الصيني في مناورات استفزازية بشكل متزايد بالقرب من تايوان.

ومنذ أكتوبر 2020 حدد الحزب الشيوعي الصيني لنفسه هدفا يتمثل في تحديث نظريات جيشه وتنظيمه وأفراده وأسلحته ومعداته بحلول العام 2027، وفق التقرير الذي أضاف "إذا تم تحقيقه، فإن هذا الهدف سيمنح بكين خيارات عسكرية أكثر صدقية في مواجهة تايوان" التي تحظى بدعم كبير من واشنطن.

وتنظر إدارة بايدن إلى نفوذ الصين الاقتصادي المتزايد بسرعة وقوتها العسكرية، على أنهما التحدي الأمني الرئيسي الذي تواجهه واشنطن في قارة آسيا وبعض المناطق الأخرى.

ويحذر قادة عسكريون أميركيون في جميع أنحاء العالم من أن النفوذ المتزايد للصين لا يقتصر على آسيا فقط. وهم يجادلون بأن بكين تؤكد بقوة نفوذها الاقتصادي على دول في أفريقيا وأميركا الجنوبية والشرق الأوسط، وتسعى وراء إنشاء قواعد عسكرية ومواطئ قدم هناك.

هكذا تتدرب بكين على مواجهة واشنطن